ازدهار الشعر

س / لقد وصل الينا الشعر العربي صحيحا سليما محافظا على السمة البنائية. فمن هم الذين حافظوا على اصوله ؟

ج /

1 – شعراء البادية في هذا العصر كانت تمد الحاضرة بكثير من الشعراء ذوي السليقة العربية السليمة مثل : أبي البيداء، وابن الدمينة ،وابن ميادة ،وأبي العميثل ، وعمارة بن عقيل . وقد تحول الكثير من هؤلاء الشعراء الى معلمين يعلمون الناشئة اللغة ، ورواية الشعر القديم .

2 – شعراء لم ينشأوا في البادية ، ولكن السليقة العربية تحولت اليهم ،وتمثلت في دخائلهم حتى اصبحوا لا يقلون عن شعراء البادية فصاحة وبيانا .

3 – كان لعلماء اللغة الحظ الأوفر في تحول هذه السليقة الى شعراء الحضر، فقد جمعوا لهم اللغة ، والشعر الجاهلي ، والاسلامي ، ووضعوا لهم المقاييس وضعا دقيقا وظلوا طوال العصر يبعثون فيهم الإيمان بأن الشعر القديم هو القدوة المثلى ، وكان من هؤلاء اللغويين شعراء بارعون بادروا الى الاحتذاء بالقدوة ، ومنهم : حماد الراوية ، والخليل بن احمد الفراهيدي ، وخلف الاحمر ، والأصمعي ... وغيرهم .

ملاحظة مهمة ان علماء اللغة لم يعرضوا على شعراء الحاضرة فقط نماذج الشعر القديم السهلة وانما كانوا يعرضون عليهم نماذجه المليئة بالحوشي والالفاظ الغريبة ومضوا اكثر من ذلك فقد جعلوها مدار املاءاتهم ومحاضراتهم حتى نجد الجاحظ يقول لم ارغاية اللغويين الا كل شعر فيه اغراب ولم اجد غاية رواة الاشعار الا كل شعر فيه غريب او معنى صعب يحتاج الى الاستخراج والمعروف ان اهم مجموعتين للشعر القديم الفتاه في العصر العباسي هما المفضليات والاصمعيات وهما تزخران بالغريب وان علماء اللغة لم يتركوا قصيدة ولا مقطوعة جيدة لشاعر جاهلي او اسلامي الا سجلوها وفسروها وبذلك سلست اللغة للشعراء من العصر العباسي

س ما الذي حفز العلماء على جمع اللغة والشعر

ج

1 – باعث ديني هو المحافظة على لغة القران الكريم والحديث الشريف حتى لا تستغلق دلالتهما على افهام الناس مما جعل الجاحظ يقول للعرب امثال واشتقاقات وابنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وارادتهم فمن لم يعرفها جهل تاويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل فاذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس هو من اهل هذا الشان هلك واهلك الناس هذا القول اكد عليه الجاحظ لدخول كثير من الاجناس المختلفة الى الدين الاسلامي كما ارادوا تعلم اللغة العربية فعمد علماء اللغة الى جمعها وتعقيدها حتى لا يدب اللحن فيها وتحدث خلخلة في بعض المفاهيم اللغوية وخاصة ان هناك بعض الكلمات تاخذ معنين كما في قوله تعالى واقسطوا ان الله يحب المقسطين وقوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا

ففي الاية الاولى كان الفعل رباعيا يدل على العدل والمساواة وفي الاية الثانية كان الفعل ثلاثيا يدل على الظلم والجور

وهذا الكلام لايفهمه الا ذوي الاختصاص ويجب افهامه الى الاجناس الدخيلة على اللغه العربية حتى لا تستغلق المفاهيم كما اشار انفا الى ذلك الجاحظ

2 – باعث سياسي حيث ان خلفاء بني العباس اظهروا محافظة شديدة على لغة القران الكريم فبعثوا بالعلماء الى مدارستها والتعمق فيها ورواية كل ما يتصل بها من انساب وايام واخبار واشعار وقد جعلوا مقياس وظائفهم الكبيرة التفوق فيها فكانوا لا يستوزرون ولا يستكتبون الا من حذقها وبرع في ادائها واخذوا ابنائهم في تعلمها فاحضروا لهم كبار اللغويين ليحفظوهم كثيرا من نماذجها الشعرية ويتقنوا صياغتها واساليبها

وقد الف المفضل الضبي كتابه المفضليات للمهدي وهو لا يزال ناشئا في عهد ابيه

وبذا سرى في القصر العباسي ذوق محافظ كان له اثره في الشعراء فكانوا يمدحون الخلفاء بالذوق نفسه

س لماذا اصبح اللغويون السلطة العليا التي تحكم على الشعر والشعراء

ج لانهم وضعوا اساسا ومقايسا للشعر يجب الاحتذاء بها ولا يحق لاحد من الشعراء الانحراف عنها لذلك من اشاروا اليه من الشعراء طار اسمه واصبح مشهورا ومن لوحوا في وجه غدا نسيا منسيا فقد كان الشعراء يعرضون اشعارهم على اللغويين لتلاقي استحسانا ومن ذلك قول مروان بن ابي حفصة عندما عرض قصيدته المشهورة على يونس النحوي والتي قالها في مدح الخليفة المهدي فاظهر يونس جودتها وحصل على مكافاه من المهدي مائة الف درهم وهي

 طرقتك زائره فحي خيالها

 بيضاء تخلط بالجمال دلالها

س ماهو الكتاب الذي عني بتناول اراء علماء اللغة حول الشعر العباسي وما هي تلك الاراء

ج كتاب الموشح للمرزباني والذي افرد فيه فصلا طويلا يصور فيه كيف كان الشعراء يعرضون اشعارهم على اللغويين ليجيزوها لهم

ومن تلك الاراء

* قول الخليل بن احمد الفراهيدي لابن مناذر انما انتم – معشر الشعراء – تبع لي وانا سكان السفينة
* اسقط علماء اللغة كثير من شعراء العصر العباسي حتى ان ابا عمرو ابن العلاء يختم الشعر بذي الرمة والرجز برؤبة قائلا في المحدثين انهم كل على غيرهم ان قالوا حسنا فقد سبقوا اليه وان قالوا قبيحا فمن عندهم
* اما الاصمعي فقد ختم الشعر بابن ميادة وابن هرمة واضرابهما من شعراء نجد والحجاز الذين ادركوا الدولة العباسية وانشده اسحاق الموصلي بيتين من شعره دون ان يسمي قائلهما فلما اظهر اعجابه بهما قال له اسحاق انهما من نظمه فبادره قائلا افسدت الشعر ان التوليد فيهما بين
* ويروي الرواة ان ابن مناذر كان يقول لابي عبيدة اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد ولا تقل ذلك جاهلي وهذا عباسي فتحكم بين العصرين ولكن احكم بين الشعرين ودع العصبية
* يقول ابن الاعرابي انما اشعار المحدثين مثل الريحان يشم يوما ويذوى فيرمى به واشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا

س ان اهدار اللغويين لشعر العباسيين بسبب حداثته خطا في التقويم وضح ذلك من خلال ذكر الاسباب

1. الجودة الفنية لا تقاس بالقدم والحداثة
2. الشعر الجيد جيد في كل زمان ومكان ولا سيما انه متاثر بنماذج الشعر القديم وجعلوه اساسا لهم
3. كثرة السقطات التي كانت تحسب على الشعراء العباسيين مع انها ليست بسقطات بل انها اما

ا – ضرورات راها الشعراء العباسيون في الشعر القديم فقاسوا عليها

ب – لغات شاذة راوها ايضا في هذا الشعر وظنوا ان من حقهم مجاراتها

ج – اشتقاقات وابنية استحدثوها على ضوء المقاييس اللغوية التي حذو حذوها

د – بعض اللهجات العربية جمعها علماء اللغة من منابعها

ملاحظة ان اهدار اللغويين لشعر العباسيين كان مخافة ان يحدث اضطراب في النموذج الشعري القديم فلا يستشهدون باشعارهم للحفاظ عليه وجعله صحيحا سليما دقيقا

مثال على ذلك ما اخذه ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء على ابي نواس في قوله الشعري بعد ان ادعى الكثير بانه ضعفا الا ان ابن قتيبة لا يراه ضعفا بل حجة اخذها من الشعر القديم وعلى علة بينه من علل النحو في قوله

 فليت ما انت واط

 من الثرى لي رمسا

ان تركه الهمزة في واطىء فحجته فيه ان اكثر العرب تترك الهمزة للتخفيف

واما نصبه رمسا فعلى التمييز واما خبر ليت فهو لي كما نقول في الكلام ليت ثوبك هذا لي ازرارا ان خير ليت هو لي وصار الازرار تميزا

* موقف المستشرق يوهان فك في كتابه العربية من الشعر العباسي
1. وقف عند البيت السابق لابي نواس وما يماثلها مما اخذ على ابي نواس وعند بعض السقطات عند الشعراء اخرين متخذا منها دليلا على مخالفة العباسيين لقواعد العربيه مع العلم ان ابن قتيبه وضح ان ما وقع به ابي نواس هو من قواعد الفصحى التي رسمها اللغويون للشعراء العباسيين لانهم جمعوا لهم كل غريب وشاذ فلذلك نجد ان العباسيين قاسوا اشعارهم على اشعار القدماء
2. موقف من استخدام بعض الشعراء العباسيين لبعض الالفاظ والصيغ الفارسية في اشعارهم معتمدا على ما كتبه الجاحظ في البيان والتبين عن بعض الاعراب مثل العماني والكندي ذاكرا انهما كانا يتملحان بادخال بعض الالفاظ الفارسية في اشعارهما وقد جعل ذلك يوهان فك يزعم ان الفارسية ادخلت في هذا العصر ضيما على العربية مبالغا في تصوير هذا الضيم وهي مبالغة لجا اليها هذا المستشرق ولكن لا تسندها النصوص نفسها التي رواها الجاحظ اذ كان الشعراء يسوقون في اشعارهم احيانا بعض الالفاظ الفارسية تملحا وتظرفا فقد كانوا يحافظون على ما استقر في ملكاتهم من قوانين الصياغة العربية وكان اكثر الشعراء استخداما للالفاظ الفارسية في شعر ابا نواس اذ كان ياتي بها في بعض خمرياته تعابثا وتماجنا كما في المثال الاتي الذي يذكر فيه الاعياد المجوسية

 والمهرجان المدار لوقته الكرار

 والنوكروز الكبار وجشن جاهنبار

* عندما اخذ اللحن يتفشى بين جميع الاوساط اخذ علماء اللغة على عاتقهم الحفاظ على اللغة العربية وكانوا بالمرصا لكل من يلحن لانهم كانوا يعدونه من الكبائر لذلك جمع المستشرق يوهان فك مادة واسعه من ضعف اللغة عند الاجناس الدخيلة والعامة وكما انه يوهان فك وقف طويلا عند ما ساقه الجاحظ في البيان والتبيين من لكنات بعض الاعاجم وهذه اللكنات صعوبه في التكيف العضوي لمخارج الحروف

التي لا توجد في لغاتهم مثل الراء والسين والزاي والعين والهمزة والقاف

وهذه اللكنات تشيع بين العامة ولا نجدها عند الفصحاء العرب لذلك نجد كثير من العلماء يعنون بتقنية العربية وتصفيتها من الشوائب مثل الكسائي في كتابه لحن العامة فالفصحى هي لغة العالم العربي الى جانب لغة العلماء والادباء والذي حافظ عليها هو القران الكريم وجعلها تنتشر

حتى نجد تياري الشعوبية والزندقة الذين ظهرا في العصر العباسي واتخذا من اللغة العربية اداتهم في التعبير ولسانهم في الدفاع عن مبادئهم حتى ان الثقافات لم تحتج الى ترجمة مقننة لان كل الامم المفتوحة قد تعلمت العربية ونقلت ثقافاتها مثل الهندية والفارسية واليونانية

الشعوبية نسبة الى الشعوب الاعجمية وهي نزعه تقوم على مفاخرة تلك الشعوب - وفي مقدمتها الشعب الفارسي - للعرب مفاخرة تستمد من حضارتهم وما كان فيه العرب من بداوة وحياة خشنة غليظة وقد قدموا الشعوب الاجنبية على العرب ونقصوا من قدرهم وحطوا من شانهم

الزندقة وهي حركة الحادية تقوم على بغض الدين الاسلامي الحنيف وكل ما اتصل به من عرب وعروبة وكلمة الزندقة ليست عربية انما هي تعريب لمصطلح فارسي توسع في العصر العباسي ليشمل كل من استظهر نحلة من نحل الفرس واتسعت اكثر من ذلك فشملت كل الحاد بالدين الحنيف وكل مجاهرة بالفسق والاثم

س هل ضعفت العربية عند الشعراء من ذوي الاصول غير العربية في العصر العباسي

ج لم تضعف العربية في نفوس العباسيين ولا نفوس الموالي ممن اصولهم غير عربية بل كانت تتعمق في نفوسهم بفضل من زودهم بها من اللغويين ومنهم ابو نواس الذي كان استاذه خلف الاحمر وايضا نهل من بادية بني اسد حيث اقام فيها حولا كاملا يتغذى على دواوين شعراء العصر الجاهلي والاسلامي حتى قالوا انه كان يحفظ دواوين ستون امراة فضلا عن الرجال وانه حفظ سبعمائة ارجوزة غير ما كان يحفظة من قصائد الجاهليين المخضرمين والاسلاميين والامويين وايضا بشار بن برد الذي سبق ابا نواس وهو راس مدرسة المحدثين فعلى الرغم من اصله الفارسي الا انه كان يتقن العربية لانه نشا في بادية بني عقيل اذ يقول نشات عند ثمانون شيخا من فصحاء بني عقيل ولم يكون يعرفوا الخطا وكان نساؤهم افصح من رجالهم لذلك اكتسبوا السليقة العربية السليمة حتى غدوا كل عربي الاصيل مثال على ذلك ما اورده الاصبهاني شاهدا يذكر فيه عقبة بن رؤبة عندما انشد الوالي عقبة بن سلم ارجوزة يمدحه فيها وكان عنده بشار بن برد فقال عقبة هذا طراز لا تحسنه فغضب بشار وقال الي يقال مثل هذا الكلام فصنع ارجوزة يمدح بها عقبة بن سلم وكان عقبة بن رؤبة حاضرا عند الوالي ومطلعها

 يا طلل الحي بذات الصمد

 بالله حدث كيف كنت بعدي

فقد اعجب الوالي عقبة بن سلم بها وكافاه عليها وانكسر عقبة بن رؤبة فقد كان بشار يستطيع ان يدخل الفاظ الغريب الوحشي في قصائدة فلا نستطيع ان نميز شعره عن شعر القدماء لتمكنه من الغريب